

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم النفس وعلوم التربية

المستوى : السنة الأولى ماستر

تخصص : علم النفس العيادي

مقياس : علم نفس الاجرام

المحاضرة الثانية : النظريات المفسة للسلوك الاجرامي : نظرية التحليل النفسي

أهداف المحاضرة :

- توضيح الأسس النفسية للجريمة : من خلال التعرف على كيفية تفسير التحليل النفسي للسلوك الاجرامي .
- فهم دور الخبرات المكبرة والبيئة من خلال تحليل تأثير التربية ، التماهي من النماذج المنحرفة والحرمان العاطفي في تكوين سلوك منحرف.
- تمييز الأنماط الاجرامية من منظور نفسي : من خلال التفريق بين الجرائم الناتجة عن العصاب والناتجة عن الانا الأعلى الضعيف.

تمهيد

تسعى نظرية التحليل النفسي للجريمة الى فهم الأسباب الداخلية للسلوك الاجرامي من منظور نفسي معمق ، مركزا على الصراعات اللاشعورية داخل شخصية الفرد انطلاقا من نموذج الهو- الانا – الانا الأعلى الذي وضعه سيغموند فرويد.

حيث تفسر هذه النظرية كيفية تأثير الصراعات الداخلية والميول المكبوتة على الميل الى ارتكاب الجرائم ، كما تركز على دور الخبرات المكبرة في تكوين البنية الاجرامية ، ومن هذا المنطلق يصبح السلوك الاجرامي في بعض الحالات ليس مجرد مخالفة للقوانين بل عرض رمزي لصراعات نفسية عميقة يحتاج فهمها الى تحليل نفسي معمق.

أولاً : السلوك والدوافع اللاشعورية

1-تعريف السلوك

يعرف السلوك بأنه كل ما يصدر عن الانسان من اقوال وأفعال ويمكن ملاحظتها بشكل مباشر كالكتابة والقراءة وقيادة السيارة والعدوان والصراخ والرسم وغيرها. (غزال، 2015، صفحة 19).

يقصد بالسلوك بوجه عام الاستجابات الحركية والغدية أي الاستجابات الصادرة عن عضلات الكائن الحي او عن الغدد الموجودة في جسمه او الأفعال والحركات العضلية. وهناك قلة من علماء النفس الذين يقصرون لفظ السلوك على السلوك الخارجي الذي يمكن ملاحظته ومشاهدته ولكن غالبية علماء النفس المعاصرين يقصدون بالسلوك جميع الأنشطة التي يقوم بها الكائن الحي ، وبذلك يدخل تحت مفهوم السلوك المناشط العقلية والمناشط الفيزيولوجية التي تحدث داخل الكائن الحي ذاته ، وبذلك يشمل السلوك جميع مناسط الكائن الحي الداخلية والخارجية .

كما ان هناك محاولات مختلفة لوصف السلوك ، فيقسم الى سلوك فطري وسلوك مكتسب متعلم ، وهناك سلوك سوي وسلوك غير سوي ، وهناك السلوك المقبول اجتماعيا والسلوك المضاد لمبادئ المجتمع . (العيسوي، 2000، صفحة 42)

2-السلوك الغريزي

لا يتقصر علم النفس على دراسة كيفية قيام الافراد بسلوكات معينة او تجنب أخرى ، بل يركز كذلك على دراسة الأسباب والدوافع التي تقف وراء سلوك الانسان ، حيث ان دراسة الدوافع الكامنة وراء سلوك معين تساعد في فهم هذا السلوك وبالتالي فهم شخصية الفرد بشكل عام. حسب ابراهام ماسلو ونظريته الشهيرة عن الحاجات الإنسانية وترتيبها ، فإن اقوى الدوافع الإنسانية تلك التي تنبع من حاجات بيولوجية **Biological Needs**، تهدف الى اشباع دوافع تتمركز في قاعدة الهرم مثل حاجيات الغذاء ، المأوى والجنس وغيرها ، كما ان طريقة الاشباع تعتمد على عوامل مختلفة منها درجة نضج الفرد وخبراته الاجتماعية السابقة.

كما يرتبط الدوافع والرغبة في اشباعها بنوع من السلوكيات التي اشارت اليه النظريات التطورية، والذي يتمثل في السلوك الغريزي **Instinct** ، الذي يعتبر سلوكا فطريا او محركا أساسيا للسلوك

الإنساني ، حيث يعتبر استجابة فطرية غير متعلمة من البيئة ويشترك فيه جميع افراد النوع بدافع الحفاظ على النوع بالبقاء و الاستمرارية ، فالسلوك العريزي حسب فرويد عنصر اولي لا يمكن تحليله الى ما هو ابسط منه.

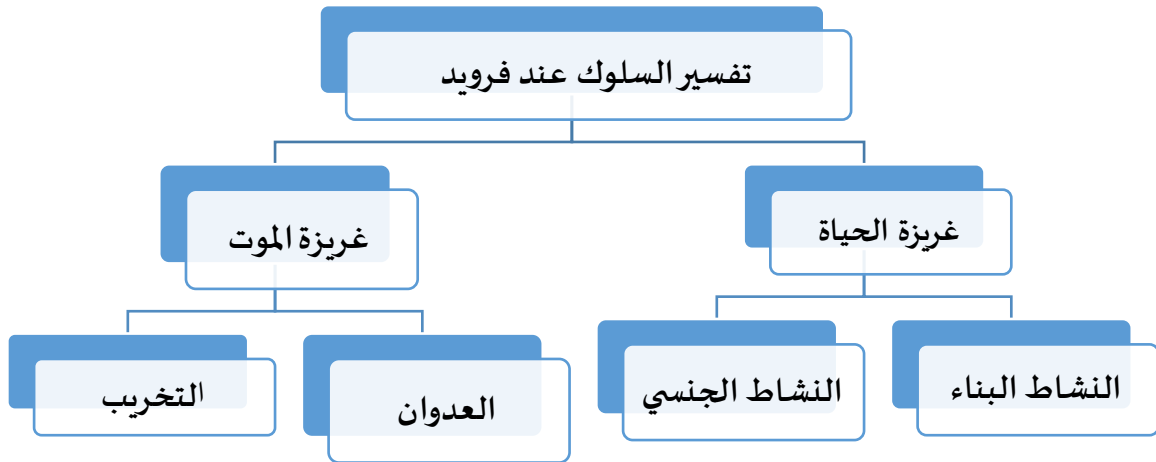
3- السلوك العدواني عند فرويد

يرى فرويد ان جميع دوافع الانسان ورغباته يمكن ردها الى غريزتين اساسيتين هما:

غريزة الحياة : تظهر في كل ما نقوم به من اعمال إيجابية وبناءة.

غريزة الموت : تظهر في السلوك التخريبي وفي الهدم والعدوان على الذات والآخر.

اما فيما يتعلق بالسلوك العدواني ، يرى فرويد ان المصدر الأساسي للسلوك العدواني ناتج عن كبت الميول والرغبات الجنسية عند الفرد ، ثم تطورت الفكرة عنده واصبح يرى ان العدوان استعداد فطري غريزي مستقل في تكوين الانسان النفسي ، وبذلك فالدافع الى السلوك العدواني دافع فطري وغير مكتسب.



الشكل الأول : تفسير السلوك عند فرويد بناء على الغرائز.

ثانيا : الجريمة والتحليل النفسي

1- الهو ، الانا ، الانا الأعلى والسلوك الاجرامي

هيمنت الكثير من أفكار التحليل النفسي على الدراسات المتعلقة بالجريمة في جوانب متعددة خلال جزء كبير من النصف الأول من القرن العشرين ، ويتربط العمل في هذا المجال بنظريات التحليل النفسي التي وضعها سيغموند فرويد (1856-1939) ، والتي تقوم في جوهرها على تصور الانسان "بوصفه كائنا معاديا للمجتمع بطبيعته ، تحركه دوافع ساعية الى اللذة تتعارض مع المصالح الاوسع للجماعات الاجتماعية " ، وتؤكد نظرية التحليل النفسي على الدوافع اللاعقلانية واللاشعورية في تفسير السلوك الاجرامي. (NewBurn, 2017, p. 161)

في هذا السياق ، تعد المفاهيم الثلاث التي ميزها فرويد محورية في النظرية التحليلية النفسية :

1- الهو ID : جانب من الشخصية لا شعوري ، يتضمن السلوكيات البدائية والغريزية ، ويعد المكون الاولي للشخصية ، تحكمه مبدأ اللذة ويسعى الى الاشباع الفوري للدرجات دون اعتبار للواقع او المعايير الاجتماعية.

2- الانا Ego : ذلك العنصر من الشخصية الذي يمكن الهو من العمل بطرق مقبولة اجتماعية ، ويرتكز على مبدأ الواقع ، كما يساعد الانا في تفرغ التوترات الناتجة عن الرغبات غير المشبعة ، من خلال إيجاد حلول واقعية ومتوازنة.

3- الانا الأعلى Super Ego : كان ينظر اليه في الأصل على انه جزء من اللاشعور ، غير انه يعد اليوم غالبا جزءا من الوعي أيضا ، ويحتوي على جميع المعايير الأخلاقية والاجتماعية المستبطنة التي توجه السلوك ، ويتكون من جزأين :

الانا المثالية : يضم المعايير والسلوكيات التي يقرها المجتمع ويتعبرها مثالية.

الضمير : يتضمن التصورات السلبية حول بعض السلوكيات.

كما يشير فرويد ان الانسان بطبيعته كائن مضاد للمجتمع ، وما يجعله اجتماعيا وما يمكنه من البقاء هو تنظيم او ضبط نزعاته الساعية الى اللذة ، ويتم ذلك بطريقتين :
أولا : يعارض الهو من خلال عمل الانا الموجه بمبدأ الواقع.

ثانيا : توجه الانا نفسها بواسطة الانا الأعلى بوصفه جزءا من عملية تنظيم الهو.

وفي النظرية التحليلية النفسية المعاصرة ، ينظر الى الانا الأعلى جزئيا باعتباره ضميرا يعمل على تحييد الدوافع التي تتعارض مع القواعد الأخلاقية وبهذه الكيفية يمثل الانا الأعلى استخدال معايير الجماعة وقيمها ، كما تعد عملية التشكل غير الكافي للانا الأعلى او قصور أدائه محورا أساسيا في التفسيرات التحليلية النفسية للجريمة ، حيث يحدد في هذا النوع من الطرح ثلاث مصادر رئيسية للجريمة ، وترتبط هذه المصادر بأنا اعلى قاس ، منحرف ، او ضعيف.

أولا : وجود انا على قاس

وجود انا اعلى قاس قد يؤدي الى شعور مفرط بالذنب ، والى سلوكيات تفرغية تستدعي العقاب بصورة لا شعورية، وتشبه هذه السلوكيات العصاب ، وفي احد صيغ النظرية ينظر الى هذا النوع من الاجرام بوصفه نتاجا لا شعوريا بالذنب مرتبط برغبات طفولية مبكرة ، ومن ناحية أخرى ، قد تمثل هذه السلوكيات بديلا لتعويض حاجات الأمان والمكانة لم تشبع في مجالات أخرى.

ثانيا : انا اعلى ضعيف

يرتبط بضعف الانا الأعلى ، وهو ما يرتبط عادة بالتمركز حول الذات والاندفاعية وبالتالي بالسيكوباتية وهنا يصور الافراد بوصفهم انانيين يفتقرون الى الشعور بالذنب ، حيث تحضع الحاجات البدائية والغريزية التي يظهرها الهو لقدر غير كاف من الضبط من جانب الانا الأعلى . وقد تناولت بعض الاتجاهات التحليلية النفسية الجديدة مثل اعمال **John Bowlby** قضايا من قبيل الحرمان الامومي وربطتها بالجنوح الاحداث ، ووصفت هؤلاء الافراد بأنهم يظهرون طابعا عديم العاطفة.

ثالثا : انا اعلى منحرف

اما المصدر الثالث والأخير للسلوك الاجرامي فينتج عن انا اعلى منحرف ، حيث تتطور المعايير الانا الأعلى بصورة طبيعية ، غير ان هذه المعايير نفسها تكون منحرفة (انعكاسا لما يسمى التماهي المنحرف) وربما يكون ذلك نتيجة ارتباط وثيق بين الطفل ووالد جانج او مجرم. ويترتب على هذا النوع من الارتباط غياب الشعور بالذنب تجاه أنماط معينة من السلوك. ورغم ان مثل هذه الأفكار لم يكن لها تأثير مباشر كبير في نظرية الجريمة الا انها كان لها اثر كبير في توجيه بعض الباحثين في علم الجريمة نحو مسألة تأثير الخبرات المبكرة في الحياة ، مثل التنشئة الوالدية على السلوك الاجرامي.

2- الحرمان الامومي والانحراف

في اطار العمل ضمن التقليد التحليلي النفسي على نحو عام ، تعد نظرية جون بولبي ، الحرمان الامومي من اكثر النظريات التحليلية شهرة في تفسير الانحراف ، ويرى بولبي ان الأطفال يحتاجون الى رعاية متسقة ومستمرة من مقدم رعاية أساسي حتى سن الخامسة ، واي اضطراب في هذه العلاقة قد تترتب عليه اثار ضارة ، ولا سيما ان الطفل قد يواجه لاحقا صعوبات في إقامة علاقات اجتماعية مستقرة.

استندت أبحاث بولبي الى دراسة حالات 44 شابا احيلوا الى عيادات الارشاد الطفلي بسبب سلوك منحرف (السرقة) ، الى جانب مجموعة مقارنة مماثلة من غير المنحرفين ، وقد تبين ان ما يقارب 39% من المجموعة المنحرفة كانوا قد تعرضوا لاضطراب ملحوظ في علاقاتهم بأمهاتهم (انفصال لا يقل عن 06 اشهر) قبل سن الخامسة ، مقارنة ب 05% من المجموعة المقارنة.

وقد لخص الاتجاه العام لنظرية بولبي لاحقا في اطروحات تناولت دور الاسر المفككة ، وأطفال المفاتيح (الأطفال الذين يقضون وقتا طويلا دون اشراف والديهم) في الانحراف ، وكذلك في مناقشات أوسع حول اختلال وظائف الاسرة ، ويوجد اليوم الكثير من الأدلة التي تربط بين المشكلات الاسرية وانحراف الاحداث غير ان هذه الأدلة تمثيل الى الاشارو الى عوامل أخرى غير مجرد الانفصال عن الوالدين ، كما تفترض عموما علاقة اكثر تعقيدا بين أداء الاسرة والجريمة.

ومع ذلك فقد تعرض عمل بولبي لانتقادات منهجية وتجريبية متعددة ، من بينها طبيعة العينة التي وصفت بانها غير ممثلة وصغيرة جدا ، فضلا عن تصميمه البحثي الذي تضمن مجموعة ضابطة غير متكافئة على نحو كاف.

وقد وجهت باربرا ووتون (1959) نقدا شهيرا لاطروحة بولبي استند الى ثلاث نقاط رئيسية :

- عدم تقديم دليل على ان أي ضرر ناجم عن تجربة الانفصال هو ضرر غير قابل للإصلاح
- ان الانفصال الامومي ليس امرا نادر الحدوث في عموم السكان وبالتالي فان النظرية تبالغ في التنبؤ بحدوث الانحراف.
- ان الانفصال ليس هو ذاته الحرمان ، أي ان العامل الحاسم هو جودة العلاقة لا مجرد حدوث الانفصال .

كما يشير نقد مايكل رتر ، شكك في تأكيد بولبي على أهمية الانفصال الجسدي في مرحلة الطفولة ، مشسيرا الى ان الأبحاث التجريبية تتحدى هذا الاستنتاج ، ومع ذلك أظهرت نفس الابحاث وجود علاقة مهمة بين الخلافات الاسرية والانحراف ، ومع ذلك يظل الامر قائما بأن تجارب التنشئة الاجتماعية المبكرة تظهر العديد من الدراسات الطولية ارتباطا وثيقا بالنتائج السلوكية في مراحل لاحقة ، وقد أظهرت دراسة في شمال إنجلترا (كولفين واخرون ، 1988) ان الأولاد الذين شهدوا طلاق او انفصال الوالدين قبل سن الخامسة كانوا معرضين لما يقارب ضعف خطر الإدانة قبل سن 32 (53% مقابل 28%) . (NewBurn, 2017, p. 162)

وبشكل اعم ، فقد أصبحت النظريات المتأثرة بالتحليل النفسي اقل شيوعا كوسيلة لتفسير الانحراف والجريمة ، ووفقا لمايكل رتر فإن السبب ليس لان الأبحاث التجريبية قدمت دليلا قويا على خطأ هذه النظريات ، بل لان هذه النظريات لم تثبت جدواها بشكل خاص سواء في تعميق فهمنا للجريمة او في وضع طرق تدخل فعالة .

المراجع

Tim NewBurn.(2017) . *Criminology* . 3nd.(New York: Routledge.

عبد الرحمان العيسوي.(2000). *علم النفس العام* . مصر: دارالمعرفة الجامعية .

معاوية محمود ابو غزال.(2015). *علم النفس العام* . الاردن : دار وائل للنشر.